المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (45) أبريل 2023
Volume (45) April 2023
IJOHSS

الهدم والبناء في الشعر العباسي

رابعة راضي جبار
قسم اللغة العربية، كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة ذي قار، العراق

أ.د. قصي الحصونة
قسم اللغة العربية، كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة ذي قار، العراق

الملخص

الشعر مرآة العصر بكل ما يكتبه من أحداث تعكس لنا شظايا الملامح وظواهرها ،يعد الشعر صورة عاكسة عن منابع وأفانين مخيلة الشاعر ورؤياه الفكرية ،وعلى وجه الخصوص فيما يتعلق بالهدم على مستوى الشخصية إثباتا او تهمشيا او نحو البناء بالبحث عن مكامن الشخصية ومناطاتها الإيجابية، وهذه الدراسة رؤية نيط عبرها إستيضاح جانب الهدم والبناء على مستوى المدح والهجاء السايكولوجي في العصر العباسي، فأقتضت طبيعة الدراسة أن تعتمد على المنهج الفني التحليلي، وقد اخرجت لنا بمقدمة يليها المبحث الأول الذي تناول جانب الهدم على مستويين هما الكاركاتور الشعري والسياسي كأدوات بناءة تهديمية تطيح بالممدوح المتلقي أما المبحث الثاني فتناول موضوعة البناء عبر المواءمة بين البناء والمتلقي والقول والمقول ،ختمت الدراسة بأهم ماتوصلت إليه من نتائج.

الكلمات المفتاحية: الهدم في الشعر، البناء في الشعر، الشعر العباسي.

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.45.2023.564

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (45) أبريل 2023
Volume (45) April 2023
IJOHSS

Demolition and Construction in Abbasid Poetry

Rabaa Jabbar Radi
Department of Arabic Language, College of Education for Human Sciences, Dhi Qar University, Iraq

Prof. Dr. Qusai Al Hosouneh
Department of Arabic Language, College of Education for Human Sciences, Dhi Qar University, Iraq

ABSTRACT

Poetry is the mirror of the era with all the events it writes that reflect to us the fragments of features and their phenomena. Nit's vision through which the aspect of demolition and construction was clarified at the level of praise and psychological satire in the Abbasid era. The second topic dealt with the subject of construction through harmonization between the construction and the recipient and the saying and the saying. The study concluded with the most important findings of the results.

Keywords: demolition in poetry, construction in poetry, Abbasid poetry.

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.45.2023.564

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (45) أبريل 2023
Volume (45) April 2023
IJOHSS

المبحث الأول
الهدم في الشعر العباسي

مفهوم الهدم:

الهدم : **نقيض البناء ابن الأعرابي** : البنم قلع المتر ، يعني البيوت ..... واليدم بالتحريك : ما تهدم من نواحي البئر فسقط في جوفها ... و الأهدمان : أن ينهار عليه بناء أو تقع في بئر أو أهوية . و أصل اليتم ما انهدم ، لِقَال قدمت قدماً ، و المهدوم قدم ، و شمي منزل الرجل هماً لانهدامه .

وقال غيره : يجوز أن يسمى القير قدَّماً لأنه يحفر ترابه ثم يردُّ ترابة فيه، فهو قدم واليتم ، بالكسر : الثوب الخَلَقُ المُرقع ، وقيل : هو الكساء الذي ضوعف رفاعة . . هدمت الثوب إذا رفعته . و شيخ هام : على التشبيه بالنوب - أبو عبيد : الهدم الشيخ الذي انحطم .. و العجوز المتيمة الفانية المرمة [1] ... بدأ ابن منظور حديثه عن " قدم " على أنه نقض للبناء عموماً ، ثم راح يخصص في شرحه و تمحيصه مبيناً دلالة المفردة في مجالات عدة ، إنَّا أَنَّها لا تزال في كل مجال تحمل معاني الإنهيار و الغناء و التصدع .

المحور الاول
الكاريكاتور الشعري

ويتمثل الهدم عبر صيغ متعددة يلجأ إليها الشاعر ليحط من قيمة الممدوح ويهدم قيمه التي عبرها جسد شخصيته القيادية، أو يستلهمها الشاعر كي يحط من الألقاب المركزية، ويهمشها، وتأتي عبر صيغ ليس بالمعنى المباشر مشكلة عبر الكاريكاتور الشعري والسياسي.

الكاريكاتور الشعري

وتأتي هذه الوسيلة عبر إستعمالها الهدمي للحط من قيمة المعني والمقول له،بوساطة الألفاظ والمعاني والصور المتوخاة من توظيفها، وتأتي عبر إستعمال اساليب التحامق،وتارة عبر الرموز الغير مباشرة، ولكنها تترك مايدل عليها، وفيما يتعلق بالتحامق الشعري المستمر مع الكاريكاتور الشعري إنه يوظف التهديم الإجتماعي عبر أساليب منها الحمق و الحمق سلوك إنساني ينتج عن انفعال حاد يرد فيه الإنسان عن عجزه في مجابهة الواقع وقد أسس التراث العربي لمستوى هذا المفهوم في تمييزه بين العقل و الحمق، فقد جاء في اللسان " الحمق: ضد العقل.الجوهري: الحُمْق والحُمُق قلة العقل ، حَمُق يحْمُق حُمقاً وحَمقاً وحماقة، وحمق و انحمق و استحمق الرجل فعل فعل الحمقى[2] أما صيغة التحامق فهي تعني اصطناع الحمق وافتعاله، فهو خلاف الحمق، لأن الأول أصيل في تكوين الإنسان،أما الثاني فهو مكتسب، ومفتعل، ومصطنع، و مقصود لغايات يبغيها مفتعلها، وتدفعه إليه أسباب، وعوامل سياسية، واجتماعية، واقتصادية، ونتجت هذه العوامل عن السياسة الترويضية التي تفرض شوكة سلطانها على كل شيء من دون حكمة، فتمنهج عناصر الحياة بما يخدمها، ويوافق سيرورتها؛ و تدعونا هذه العوامل إلى الحفر في بنية أقنعة الموقف السياسي في التحامق الذي تلبسه و تمظهر الأفكار ، إذ تبطل دافعية الحاجة أو العوز لافتعال سلوك التحامق، أن الشاعر تقنّع بالتحامق للتعبير عن فلسفته الرافضة للواقع السياسي ، وهو يدل على وعي بالجد والعقل، بمثله يقول ابو العبر الشاعر العباسي :

لا أَقُولُ اللهُ يَظْلِمُنِي كَيْفَ أَشْكو غَيْرَ مُتَّهَمِ
وَإِذا ما الدَّهْرُ ضَعْضَعَنِي لَمْ تَجِدْنِي كافِرَ النِّعَمِ
قَنَعَتْ نَفْسِي بِما رزُقِتْ وَتَناهَتْ فِي الْعُلا هِمَمِي

[1] ، لسان العرب، ابن منظور ، مادة "هام"
[2] لسان العرب ، مادة: حمق

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.45.2023.564

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (45) أبريل 2023
Volume (45) April 2023
IJOHSS

لَيْس لِي مالٌ سِوَى كَرمِي وَبِهِ أَمْنِي مِنَ الْعَدَمِ [1]

تشرق في هذه الأبيات همة أبي العبر في الحياة عالية ، تنأى عن التصاغر في فم ثعبان المادة المتهيئ لافتراس إنسانه، وهو يعبر عن فلسفة رصينة تؤمن بالجد و العمل، وتنقض هذه القناعة -المتوهجة بوعيها، وشموخها الإنساني- تهمة اصطناع الحماقة بقصد تسويق شعره، و لهاثه وراء التكسب وحسب على أننا لا ننفي استثمارها .
ويسند ذلك ما يتلألأ من حقائق تكشف عن حال أبي العبر في سياق حديث الزبير بن بكار: قال عمي: ويحك ألا يأنف الخليفة لابن عمه هذا الجاهل مما قد شهر به نفسه، وفضح عشيرته، والله إنه لعرّ (الجرب والقذر والجنون) بني آدم جميعاً، فضلاً عن جهله، أفلا يردعه ويمنعه من سوء اختياره فقلت: إنه ليس بجاهل كما تعتقد إنما يتجاهل[2].

نحن أمام اعتراف واضح أن أبا العبر يتجاهل أي يتحامق و ليس بأحمق، وفي الإجابة عن سبب هذا التحامق تكمن دوافع الشاعر وتجلياتها الفلسفية التي تعني التعبير المقنع عن واقع سياسي مرفوض. وفي هذا السياق علينا ألا نظلم الخليفة (المتوكل) الذي سعى إلى إعادة الروح العربية للدولة، ودفع عمره ثمناً لهدفه، فكانت مساعيه آخر محاولة جادة لإنقاذ الدولة العباسية العربية، فكيفه وهو على هذه الحال من الإدراك بمآل السياسة أن يتجاهل حمق أبي العبر الذي يعرّ نسبه، ونحن على بينة من حساسية، وقدسية النسب للعرب، ولا سيما خليفتهم.

لا شك في أن الخليفة مقتدر على إثراء الشاعر بلمحة طرف، لكنه كان يدرك البعد العميق لهذا التحامق الذي أصبح آلية دفاع لا شعوري للإنسان، فلا مكان للعقل في زمن تهجّنت عقلانيته بلقاحات أنتجت هجائن لا براء من خبطها العشوائي إلا بالتحامق. وهذا هو انطلاق مدى وعي أبي العبر بالمرحلة وظرفيتها، لأن العقل هو عقل السلطة للإنسان وتقييده .

وجعل أبو العبر التحامق مادة لصورة شعرية تماثل فن الكاريكاتور الذي ألفناه في الرسم، ويراد به التعبير عن حدث أو فكرة باستخدام موهبة الرسم والتفكير المنطقي القادر على تحويل الأفكار إلى رموز مكتوبة ومفهومة، بقصد لفت الانتباه إلى أمر محمود ينبغي دعمه، أو تسليط الضوء على سلبية معينة ينبغي العمل على معالجتها، و يثير الضحك بتحريف الملامح الطبيعية أو خصائص ومميزات شخص أو حيوان أو جسم ما [3]، وهو في الشعر يرسم بالكلام حادثة أو موقفاً أو شخصية تتقصد إثارة السخرية والتهكم والنقد عبر تحريف الطبيعة والخصائص و الأشكال، وهذا ما نلمحه في هذه اللوحة الشعرية التي ترسم ملامح تحامقه الأولى وفيها

أدرك أبو العبر مبكراً كساد العقل (الحيوي) الذي حل محله العقل السلطوي، بمعنى القيد السياسي، وتحسس وسط ظلمة الواقع مأساته، فعبر عنها بقناع السخرية الضحكة السوداء التي رسم بها لوحة هزلية للخليفة المهزول فاضحاً بتحامقه سخف الحال الذي آل إليه رمز الخليفة:

ويأمرُبي المـَـــــــــــلكُ فيطرحُني فـــــــــــــــــي البـــُـرَكْ[4]
ويصطادُني بالشَّـــــبَكْ كأني من الســـَـــــــــــــــــمَكْ
ويضحكُ كككككـــــك كككككككككـــــك [5]

وذلك أن المتوكل كان يرميه بالمنجنيق في الماء وعليه قميص حرير، فإذا علا في الهواء صاح الطريق الطريق، ثم يقع في الماء فتخرجه السباح، وكان المتوكل يجلسه على الزلاقة، فينحدر فيها حتى يقع في البركة، ثم يطرح الشبكة فيخرجه كما يخرج السمك[6]

يرسم أبو العبر هذه الحادثة بمشهد كاريكاتوري لنفسه وللخليفة معاً، هازئاً من حاليهما ولاسيما الخليفة الذي دعاه عجزه إلى التعالي عن إنسانيته في لهوه الماجن المنتهك للإنسان، ولم تكن هذه الواقعية التسجيلية إلا إيحاء

---

[1] الأغاني ، ح23 ، ص:206
[2] الأغاني ، ح23 ، ص:206
[3] مجلة الجزيرة ، العدد: 72
[4] الأغاني، ح23: ، ص: 206
[5] ويروى البيت الثالث : (ويضحك لي هك هك)
[6] أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم: أبو بكر الصولي، ص:559.

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.45.2023.564

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (45) أبريل 2023
Volume (45) April 2023
IJOHSS

بالعجز السلطوي، ومزاجه المخترق لكل الحرم الإنسانية، فلا يفتأ ينقلب إلى مهرج يداري عجزه بسخرية صارت عند الخليفة نفسه قناعاً؛ ويوحي بذلك غمزه بقوله:" كأني من السمك" وعلى الرغم من أن المشهد يدل عليها، فإنه يوثقها كي يوخزنا بها ويوجعنا بوجعه، و يشدد الشاعر سخريته بتقطّع ضحكه المخزي المبكي.

وإذا طال ضحك أبي العبر شخص الخليفة، فلاشك في أنه سيتعداه إلى مختلف مفاصل بنية السلطة ورموزه، فكان للقضاء بوصفه رمز العدالة وأعلى مراتب هيبتها، فيهجو في تصوير كاريكاتوري قاضيين معروفين في زمانه "حيان بن بشر، وسوار بن عبد الله " كاشفاً من ما آلت إليه الدولة[1]

رَأَيْتُ مِنَ الْعَجائِبِ قاضِيَيْنِ
هُما أَخَدوثَةٌ فِي الْخافِقَيْنِ[2]
هُما اقْتَسَما الْعَمَى نَصْفَيْنِ فَذّا
كَما اقْتَسَمَا قَضاءَ الْجانِبَيْنِ
هُما فَأْلُ الزَّمانِ بُهْلْك يَحْيَى
إذا افْتُتِحَ الْقَضاءُ بِأَعْوَرَيْنِ
وَتَحْسِبُ مِنْهُما مَنْ هَزَّ رَأْساً
لِيَنْظُرَ فِي مَواريث وَدَيْنِ
كَأَنَّكَ قَدْ جَعَلْتَ عَلَيْهِ دَنّا
فَتَحْتَ بُزالَهُ مِنْ فَرْدِ عَيْنِ[3]

أظهر أبو العبر في لوحته القاضيين نادرة يتداولها الناس هزءاً وتندراً مخزياً لما صار عليه حال المجتمع، فقد قام على القضاء قاضيان أعوران، فتقاسما العمى كما تقاسما القضاء بين الفرقاء، فكانت أحكامهما مدعاة سخرية وعبث وسخط، وسخر الشاعر من صورتيهما وهما يهزان رأسيهما كما الدن يبزل من عين واحدة.

ولا نستطيع- في هذه اللوحة الهازئة – تجريد القاضيين لذاتهما، لأن القاضي معين بقرار من الخليفة، وهو ممثله، وصورته في العدالة الاجتماعية، لا يخرج على سلطته وتوجيهاته، وهذا يعني أن هجاء القاضيين هنا ممتد إلى هجاء الحكم والسلطة، فالشاعر يريد أن يغمز من السفه الأخلاقي والعقلي الذي تدنت إليه السلطة، وما كان لأبي العبر من سبيل إلى فضح ذلك إلا بالهزل والسخرية، مديناً النهج السلطوي في الحكم، وإدارة الدولة.

وهكذا ينكشف تحامق أبي العبر بوضوح عن موقفه السياسي إزاء الدولة وسلطتها المنجرفة نحو الهاوية، والانهيار، والتفكك، فلا سبيل للشاعر في مرحلة بهذه الصورة من المجابهة المباشرة، وهذا يدلنا على أن جدية المناهضة والوعي الناضج بها هما اللذان يدفعان الشاعر إلى الابتكار الفني للقناع الساخر ليكون سلاحاً يناضل به مهما ضعف، وذلك هو تحامق أبي العبر.

يقول أيدي فوتهيم عندما تعمل جماعة من الناس سويا يندر أن يظلوا مجرد عدد من الانوات المستقلة ولن يحدث هذا إلا تحت ظروف خاصة جدا والذي يحدث بدلا من ذلك أن يصبح المشروع العام محط عنايتهم جمعيا وبالتالي يعمل كل منهم باعتباره ...جزءا من كل...عندئذ لن نجد "أنا "واقفة وحدها إلا تحت ظروف خاصة جدا وإذ ذاك قد ينقلب التوازن الذي كان متحققا أثناء العمل الذي يسوده الانسجام ويحل محله توازن آخر يكون مرضيا في بعض الحالات[4].

وإزاء هذا القول نفترض أن بشارا كان ضمن مجموعته يسير على خط واحد سيما إذا عرفنا أن أي شاعر ينتمي لجماعة تقف موقفا معارضا للدولة العباسية فانه يتهم بالزندقة أو يعاقب بالقتل أو النفي ,وهذا الافتراض يجعلنا نقول انه سار على وفق المبادئ العامة لهذه الجماعة ولكنه بعد ذلك ولحالة مرضية ربما

[1] الأغاني، ج:23 ،ص:212.
[2] الخافِقانِ: المَشْرِقُ والمَغْرِبُ
[3] البُزالُ: المَوْضِعُ الذي يخرُج منه الشيء المَبزُولُ.
[4] الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة ,د .مصطفى سويف ص 122

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.45.2023.564

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (45) أبريل 2023
Volume (45) April 2023
IJOHSS

حدثت له في الطفولة حادثة جعلته يلتزم موقف الدفاع عن هذه الجماعة ولكنه خرج عن خط سيرها إلى خط مخالف لها في سلوكها ومبادئها وأهدافها سيما انه اتهم باعتناق الزندقة والتفاخر بأصله الفارسي فبدأ شعره يأخذ طابع الفحش والبذاءة لذا فأن الشاعر ينتمي إلى الجماعة من جهة سلبية وهو الهجوم والتقليل من شان الآخرين بل وربما يهاجم جماعته وأفرادها ويخالف هذه الجماعة من جهة ايجابية أي يبتعد عن كل ايجابية تدعو لها الجماعة من مبادئ وأهداف.

بعد هذا كله نقول أن الإنتماء الجزئي للجماعة بل الإنتماء السلبي لم يكن إلا بردة فعل حدثت للشاعر في أثناء فترة الطفولة أي إرهاصات تربيته الأسرية فجعلت الأنا تتضخم على كل من يقف بوجهه .يقول الدكتور مصطفى سويف حال ة

النحن قد تتصدع فينجم خلاف عميق بينها وبين أفراد الجماعة التي تتكامل معها

وعندئذ يتحول الموقف إلى أنا والآخرين بدلا منحن غير أن الـ نحن كانت تقوم بمهمة القاعدة الديناميـة لتوازن الشخصية ويمكن التحقق من ذلك بملاحظة سلوك الشخص المنظم حديثا إلى الجماعة لم يكن عضوا فيها من قبل ومقارنته سلوكه بعد أن يندمج فيها فان سلوكه الأول يكشف عن قلق وعدم استقرار ومحاولة اللاشعور فعلا وكلما ازداد اندماجه في الجماعة واقترب من النحن شاعت نسبة الاتزان في أفعاله [1]،والعكس صحيح بالنسبة إلى بشار فان شخصيته ابتعدت عن النحن واقتربت من الأنا فحدث -بعد ذلك -تصدع في نفسيته واختلال فأصيبت شخصيته بخلل عميق في توازنها فاندفع في محاولات للتغلب على هذا الصدع فكانت محاولاته عنيفة ومن هنا كان هناك نوع من الإبداع في شعر بشار مع نوع من الهلوسة أو لنقل شبه جنون في سبابه المقذع الفاحش إذ أن الصراع الذي تتعرض له الشخصية بين أهدافها والهدف المشترك للجماعة يمكن أن يكون منشأ العبقرية كما انه يمكن أن يكون منشأ الجنون أو منشأ أي ظاهرة تدل على سوء التكيف [2] .

ولعل من الممكن الاستنتاج أن اللاشعور بدا واضحا في هجاء بشار بن برد من خلال تضخم الأنا عنده التي بدت ظاهرة في ألفاظ الأنا "الذات "التي قادته إلى اللبيدو أو الكبت الجنسي .

أن يوجد شخص أحمق، فهذا أمر طبيعي، أما أن يدعي الحمق و و ذو عقل وثقافة فهذا ما يدعو للتساؤل ويدفع للحيرة، فالتحامق سلوك ضد ال استحمق الرجل إذا : طرة، يقالف فعل فعل الحمقى، وتحامق فلان إذا تكلّف الحماقة ، [3]فالمتحامق يضع نفسه في مرتبة المغفل الذي يضحك عليه، ويهزأ به، ليطارده ّ.وه بالحجار ذاع تّحامق في العصر العباسي، فصار بمنزلة الحرفة، التي يكتسب بها الرزق خاصة عند أهل الأدب والمعرفة .

الدوافع والأسباب لسلوكه وتعددت فهذا أبو العجل [4]من أدب الناس، وأحكمهم وأكملهم عقلا، وأشعرهم وأظرفهم وكان مع هذا مقترا عليه فلما رأى ذلك ا الغفلة ستعمل ،والرطازة فلم يحل عليه الحول حتى اكتسب بذلك مالا كثيرا[5]."

مجاراة للواقع الذي تبقى الأولوية ِ فيه، لذي الجاه بغفلته وحمقه، واجماع ا للسفلة لدنيا الجاهلين، فيشقى العالم العاقل، وينعم الجاهل بماله.

[1] الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة ,د .مصطفى سويف ص 125
[2] نفس المصدر ، ص 126 .
[3] ابن منظور ، ص 226 .
[4] طبقات الشعراء ، ابن المعتز ، ص 341
[5] المصدر السابق ، ابراهيم النجار ، ص 335 .

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.45.2023.564

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (45) أبريل 2023
Volume (45) April 2023
IJOHSS

كمـــا لأذ هـــؤلاء المتحـــامقون إلـــى التخفـــي وراء حمقهـــم المصـــطنع، لإيجـــاد مســـاحة أكبـــر للتعبير عن الذات، فالأحمق والمجنون ليس عليهما حرج فكذلك يرفعون أنفسهم ضرب عن القصاص كما يفسح مجالا كبيرا، للبوح بمكنونات النفس وأسرارها، دون خجل وحياء، في جو من العبث نتيجة اجتماع السخرية.
نقل هؤلاء عبر أشعارهم ما يختلج بصدورهم من نقمة على الدهر، وحيرة حول الواقع المعاش، فكانت المقارنة المجال الذي صوروا من خلاله صورة المجتمع، بذكر ما كانوا عليه وما صاروا ّ إليه فكانت أشعارهم ترويجا عما في صدورهم، إلا أنه لا تكاد تخلو مقطعة أو قصيدة، من تبرير لت ّ غافلهم، خاطبوا به مجتمعهم، ورد .له لوم اللائمينبوا فأبو العجل يضيق المجال على عاذليه، بالحجة والبرهان، إذ لم يجد للعقل مكانا بعد ماطاف كل البلاد (مجزوء الكامل):

أكفُف مَلامَكَ مُحسِناً أو مُجمِلاً مُتَطَوِّلا
أَعَلى الحَماقَةِ لُمتَني قَد كُنتُ مِثلَكَ أَوَّلا
فَدخَلتُ مِصرَ وَأَرضَها وَالشامَ ثُمَّ المَوصِلا
وَقُرى الجَزيرَةِ لَم أَدَع فيها لِحَيٍّ مَنزِلا
إِلّا حَلَلتُ فِناءَهُ بِالعَقرِ كَي أَتَمَوَّلا
وَإِذا التَعاقُلَ حرفَةٌ فَعَزِمتُ أَن أَتَحَوَّلا
فَأَنظُر إِلَيَّ أَما تَرى حالَ الحَماقَةِ أَجمَلا
مَن ذا عَلَيهِ مُؤَنِّبي حَتّى أَعودَ فَأَعقِلا [1]

أراد الشعراء عبر الحمق الخروج عن والنزوع إلى الغرابة في المألوف، حياتهم، بتغيير مظهرهم وسلوكهم، نحو ما رآه المتوكل من أبي العجل راكبا على قصيبة،" وفي إحدى رجليه خف وفي الأخرى نعل "وعلى رأسه قلنسوة من الطواميز[2] وتجاوزوا بهذه الغرابة نمط عيشهم إلى شعرهم، فأرادوا إخضاع الأوزان لعب لغة هم، وخلقـــــــــــــــوا ث ضـــــــــــــــافة لواحـــــــــــــــق صـــــــــــــــرفية جديـــــــد بـــــــالخروج عـــــــن الصـــــــيغ الصـــــــرفية المألوفـــــــة والتلاعـــــــب بالألفـــــــاظ، وا وصوتية في شعرهم مغايرة للنسق المألوف ويظهر جليا التلاعب بالألفاظ عند أبي العبر[3]:

أنا أنا أنت أنا أنا أبو العبرنَّه
أنا الغني الحمقوقو أنا أخو المجنَّه
أنا أحرر شعري وقد يجي بردنَّه
فلو سمعت بشعري في الدسّ والوترنَّه
لسَقر قَرِ سقر نفر وما تارنَّه
لكنك تضحك حتى تمسك البطَنَّهْ [4]

يكشف أنا، أنت عن اضطراب هويته، أو تلاحمها مع المخاطب، الذي يتمنى أن يصير إلى ما آل إليه أبو العبر .للتحامق أسلوبويبحث عن يعرف الشاعر المتحامق بذاته، و فيعر سه في كفي حياته فيع ما هو عليه من حمق وسخف شعره، إذ تميل ألفاظه إلى الركاكة والعامية، وا ، مثلا إضافة النون المشدد كفاء روح هزلية نلاحظ غلة الأنا في أشعارهم ما يدل على أنهم لم يكونوا عصبة فقد بحث كل متحامق عن نمط خاص به من الغرابة ، أبو الرقعمق [5]يبحاكي صوت العصافير حين يقول :

[1] المصدر السابق ، ابن المعتز ،ص 340
[2] المصدر السابق ، ابراهيم النجار ، ص 335
[3] ابن النديم ، ص 669 .
[4] المصدر السابق ، ابن المعتز ، ص 343
[5] وفيات الاعيان ، ابو الرقعمق ، ص410 .

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.45.2023.564

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (45) أبريل 2023
Volume (45) April 2023
IJOHSS

واحك العصافير صي صي صي صصي صصصي إذا تجاوبن في الصبح العصافير

ففيك ما شئت من حمق ومن هوس قليلة لكثير الحمق إكسير

كم رام إدراكه قوم فأعجزهم وكيف يدرك ما فيه قناطير [1]

يعبر صوت العصافير الذي يحاكيه عن فوضى عارمة بداخله، ورغم ما فيه من اختلاف ومغايرة للمعتاد، إلا أنه يعود ويبرز منهجه الذي لن يستطيع إدراكه أحد ويتواصل لعبهم بالألفاظ والأصوات حتى لا تكاد تكون واضحة، أو ذ دلالة فهذا ابو العجز ينشد :

شَه شَه عَلى العَقَلَلِ ما هُوَ مِن شَكَلَلي
صاحِبُهُ مُفلَولِسٌ قَليلُ ذي الحِيَلَلِ
قَد اِستَرَحتُ مِنَ الل لوّامِ وَالعُذَّلَلِ
فَما أُبالي ما الَّذي قُلتُ وَما قيلَ لَلي
حُمقِيَ قَد صَيَّرَ ذا العالَمَ خَولاً لَلَلي [2]

ورغم ما فيها من عبث وفوضى، إلا أن المعنى واضح وجلي فيها، إذ يتباهى بحمقه الذي رفعه مكانا عليا، ويهزأ من العقلاء الذين لم يتمكنوا من حرفته، كما يحظى بالتحرر من قيود المجتمع وضوابطه فأحمق مثله لن يخضع لسلطة القانون، وتشريعات الدين.
إن من هذه القيود ومن غيرها من المقط ومالوا الشعرية ذات الأوزان الخفيف والمجزوءة، لأنها تتناسب مع تركيزهم على الجانب الإيقاعي والصوتي، الذي يلفت انتباه العامة التي يخاطبونها، فكثيرا ما تزامنت أشعارهم وحركاتهم الغريبة المتعمدة أن خلق علاقات جديدة بين كما المعاني والألفاظ، هي محاولات للتمر على طبيعة اللغة، وهدم لنسقها الثقافي، فقد طمح هؤلاء المتحامقون لنيل الحظوة عند الخلفاء، والتقرب منهم، ونيل عطاءهم، بلغتهم وأسلوبهم، لا باللغة الرسمية، والقصيدة الخاضعة لأسس وقواعد، أرادوا تخطي الواقع الثقافي الرسمي، فهذا أبو العبر ينشد :

أقر الشعراء أني ومروراً في الحرمرم
إنهم عندي جميعاً العنمنم
فقطعت الرأس منهم ثم جلد القد دمدم
فعلمنا منه طبلاً من طبول الخد دمدم
فضربنا به دمدم ثم دمدم ثم دمدم
عجبنا يا قوم مني كنت معكم كالململم [3]

يتوارى الشاعر خلف عبثه في بنية الكلمات والتراكيب، ليوظف رموزا تعبر عن فلسفته، فحين يقطع رأس الشعراء، يعت ف بنيله من المكانة الكبيرة للشعر، والنزول به إلى الدرك الأسفل فيجعل منه طبلا من طبول الخدم. ويتمادى هؤلاء المتحامقون في عبثهم، حتى ينالوا من أنفسهم أيضا، فيجعلونها محط سخرية واستهزاء، فينشد بن جدير: [4]

أَنا المُخَبَّلُ صِرفا حَماقَتي لَيسَ تَخفى

[1] المصدر السابق ، الثعالبي ، ص 393
[2] المصدر السابق ، الثعالبي ، ص 343
[3] المصدر السابق ، ابن المعتز ، ص242
[4] الورقة ، ابن الجارح ، ص 128

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.45.2023.564

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (45) أبريل 2023
Volume (45) April 2023
IJOHSS

أَنا الَّذي كُلَّ يَومٍ يَزيدُني الخَبلُ حُرفا

فَعاجِلوني بِلَطمٍ وَشَجِّجوا الرَأسَ نَقفا
ثُمَّ اِقصِفوا الظَهرَ مِنّي بِالبَشتَبانات قَصفا
وَحَرِّقوني بِنارٍ لَهيبُها لَيسَ يُطفى
يا وَيحَكُم مَثِّلوا بي مِن قَبلِ أَن أَتَوَفّى [1]

تتجسد روح الانتقام من المجتمع، الذي يخاطبونه ويطالبونه بالنيل منهم فتكبر نقمتهم على الدهر الذي أوحدهم في مثل هذه الظروف. فلم تخرج مواضيع أشعارهم عن ذلك السخف والاستهزاء باللغة الرسمية والواقع المعاش، وتبريرهم لمواقفهم المتخذة بأسلوب مباشر، يستولي فيه ظهور الأنا التي تشعر أن الذات مطعونة تحاول أن تثبت وجودها وتؤكد بقاءها. كما صرح الشعراء في أشعارهم بأن هذا السلوك سبيلهم لكسب لقمة العيش مبرزين الفرق بين ما كانوا عليه وما آلوا إليه، فهذا أبو العجل قد صير له حمقه مالا و غالا بعد أن كان ذا حاجة وفاقة فينشد من الطويل :

يا عاذلي في الحمق دعني من العذل ... فإني رخيّ البال من كثرة الشغل
وأصبحت لا أدري وإني لشاهد ... أفي سفر أصبحت أم أنا في الأهل
فمُرني بما أحببتَ آتِ خلافه ... فإن جئتني بالجد جئتك بالهزل
وإن قلت لي :لم كان ذاك؟ جوابه ... لأني قد استكثرت من قلة العقل
وَصَيَّرَ لي حُمقي بِغالاً وَغِلمَةً وَكُنتُ زَمانَ العَقلِ مُمتَطِياً رِجلي[2]

إن كان تحامقهم نوع من الفوضى والاضطراب الداخلي، يبثونه في بعض أشعارهم، إلا أن جوابهم وردهم على لائميهم، يتضمن تبريرا منطقيا لفعلهم، ويرتقي بنفسه إلى مرتبة العالم العارف بحال الزمان (مجزوء المجتث) :

هذا الزمان مشوم كما تراه غشوم
الحمق فيه مليح والعقل عيب ولوم [3]

فتتعدد بذلك مطامحهم، بتعدد طرق ترميزهم المقنع ، وقد أورد النيسابوري في كتابه عقلاء المجانين، الكثير من الأهداف والغايات، التي أرادوها من تحامقهم وينشد احدهم :

عَذَلوني عَلى الحَماقَةِ جَهلاً وَهيَ مِن عَقلِهِم أَلَذُّ وَأَحلى
لَو لَقوا ما لَقيتُ مِن حرفَةِ العَقلِ لَسارَوا إِلى الحَماقَةِ رَسلا
حمقى قاموا بقوت عيالي ويموتون ان تعاقلت هزلا [4]

[1] المصدر السابق ، ابن الجراح ، ص 130
[2] المصدر السابق ، ابن الجراح ، ص341
[3] المصدر السابق ، ابو الفضل ، ص 112
[4] عقلاء المجانين ، محمد سعيد الزعلول ، ص 42 .

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.45.2023.564

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (45) أبريل 2023
Volume (45) April 2023
IJOHSS

ويبقى العقل والحمق ثنائيتين رئيسيتين تظهران في أشعارهم، يستدعي الجهل والجهلاء، والعكس كذلك، كما ارتبط العقل بالحرمان والبؤس والغبن، في حين مثل التحامق الغنى، ونيل المكرمات والإحسان رغم ما فيه من غفلة و خساس وفي **هذا ينشد متحامق :**

جننت نفسي لكي انال غنى فالعقل في ذا الزمان حرمان
ياعاذلي لاتلم اخا حمق تضحك منه فالحمق الوان [1]

لقد صدم المجتمع هؤلاء المتحامقين عندما غيب العقل والعلم وأفسح المجال للجهلة وذوي المال، فأرادوا أن يصدموه بسلوكياتهم التي عبروا عنها في أشعارهم، وانتهجوها في حياتهم ، ولعل مذهبهم فيه كثير من فكر السريالية الذي يقوم على تقبل الحياة بلا مبالاة، لأنها" مبتذلة ولا تستحق أن نوليها الاهتمام[2] .
حاولوا جهله وفعلته، بجعل أنفسهم نماذج يهزأ بها وبشعرها، "فراد ما هم فيه تعكس لبقية الأ فهم ثائرون على الفن والحياة، وهو يستعملون الكلام الفارغ للتعبير عنها [3] .
التحامق منهج اتخذه هؤلاء الشعراء ، للتعبير عن ذواتهم ، متظاهرين بالخبل و الجنون في كثير من الأحيان ، وهم أعقل الناس جاعلين من أشعارهم رسالة أو خطايا للمجتمع ، يصورون فيه بأسلوب غير مباشر ، غفلة المجتمع الذي يهزأ منهم.
احتل التّطفيل والتحامق والكدية مكانة بارزة في الإنتاج الشعري العباسي، استجابة لمطالب كل فئة، وتحديدا لمبادئها وأهدافها. فأشعار الطفيليين اتسمت بالسهولة والبساطة في التراكيب كما ضمنوها مبادئ حرفتهم، من خلال التلقين ّ ، وبرروا دوافعهم لسلوك هذا الد رب، فهو يرون أنهم أحق بتلك الولائم التي يكثر فيها البذخ وفي كثير من الأحيان تحول التطفيل إلى لعبة مسلّية وتجربة طريفة حاول خوضها .الكثير من غير الفقراء أما التحامق فهو أسلوب انتهجه كثير من أصحاب الأدب والعلم نزعوا فيه نحو الغرابة، والابتعاد عن المألوف محاولين بذلك هدم النسق الثقافي والاجتماعي والأدبي، حين يكثفون حشو أشعارهم بغريب المفردات التي لا تكاد تبين في كثير من الأحيان، مع أنهم يأتون بواضح المعنى وجليه ّ في الآن ذاته، ما يدل على تعمد توظيف الغريب، والتوجه به نحو العبثي .

والتحامق وسيلة هؤلاء الشعراء، للسخرية من المجتمع الذي لا يقدر العالم بقدر ما يقدس صاحب الجاه والسلطان، وان كان لكل مت ّ حامق أسلوبه الخاص به، فالمكدون عكس ذلك، إنهم عصبة تتلون بزي كل منطقة، وتتفنن في الطرائق التي تتخذها للاستجداء. وللمكدين أيضا ظروف دفعت بهم إلى هذا السبيل، فهم ضحية التباين الطبقي، والتوزيع المجحف للتوارث وتضمنت أشعارهم التي نظمت في وصف معاناتهم، والمحملة بالحقد والسخط على جور النظام، فلسفة حياة، نظّرلها هؤلاء المكدون ..

[1] المصدر السابق ، النسيباروي ، ص 36 .
[2] المؤسسة الحديثة للكتاب ، انطونيو بطرس ، ص 398 .
[3] فن الشعر ، احسان عباس ، ص 86 .

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.45.2023.564

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (45) أبريل 2023
Volume (45) April 2023
IJOHSS

المحور الثاني
الكاريكاتير السياسي

أدت الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية المزرية إلى سخط وغضب العامة من الطبقة الحاكمة وموظفيها، فظهر هجاء لأفرادها من بعض الشعراء الذين شحذوا ألسنتهم للنيل من كل من منع عنهم العطاء، كما تفاوتت حظوظ العامة والخاصة وطبقاتهم، تباينت مراتب الشعراء وعطاياهم من الحكام، ما جعلهم يقتصون لأنفسهم بأشعارهم الحافلة بسوء القول فيهم ومما لا مجال للشك فيه أن هجاءهم صادق، محمل بشحنة غضب وحقد على جور السلطة وفسادها، وأغلب الحكام في نظرهم هم أهل للهجاء لا للمديح، وأولى به من مدحهم بما ليس فيهم يقول ابن الرومي في ذلك :

يقولون لي : ألفاظ هجوك عندنا إلى القلب من ألفاظ مدحك أسبق
فقلت لهم : كذب مديحي فيكم وهجوي لكم صدق وللصدق رونق[1]

لقد جعلوا من الهجاء سلاحا يشهرونه في وجه كل من منع عنهم العطاء، دون خوف أو رهبة من نفوذهم وسلطانهم، ومن ذلك أن محمد ابن سليمان أهدر دم حماد عجرد [2]حين أنشد في وصفه :

له جسم برغوث وعقل مكاتب وغلمه سنور يبيت يولول [3]

لما في هذه الأبيات من تشبيهات تقبح صورته ، خوفا من أن يذيع تداولها بين الناس، لبساطة تركيبها واتخاذ أوصافها من الطبيعة المحيطة .بهم وقد يختلف الأمر، فيعمد أولئك الحكام إلى تحاشي وتجنب ألسنتهم بإسكاتهم بالعطايا، فيصبح الهجاء سبيلهم للتكسب، يقول في ذلك ابن الرومي :

لا لأجل المديح بل خيفة الهج واخذنا جوائز الخلفاء [4]

فلم ينالوا بغيتهم من الحكام إلا حين تأكدوا أن هجاءهم له وقع في نفوسهم، فيتحاشى بذلك كل خليفة هذا القبح فقد نال أبو الينبعي [5]حين تعرض يحي بن خالد البرمكي في موكبه بدرة عندما أنشد :

صحبت البرامك عشرا ولا فخبزي شراء وبيتي كر[6]

إن هجومهم لأولي الأمر خطاب مباشر لهم، يعبرون فيه عن سخطهم وغضبهم، وتصريح بأنهم مسؤولون عن مآسي الشعب باستحواذهم على الأموال، ومن ذلك قول دعبل [7]حين يستلم ملوك بني العباس :

---

[1] المصدر السابق ، ابن الرومي - ص504 .
[2] الطبقات ، ابن المعتز ، ص 69 .
[3] المصدر السابق ، ابن المعتز ، ص 67
[4] المصدر السابق ، ابن الرومي - ص 31 .
[5] موسوعة شعراء الصعاليك ، ابو الينبعي .
[6] المصدر السابق ، ابن المعتز ، 131 – 12 .
[7] ادباء العرب في العصور العباسية ، بطرس البستاني ، ص 113 .

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.45.2023.564

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (45) أبريل 2023
Volume (45) April 2023
IJOHSS

ملوك بني العباس في الكتب سبعة ولم يأتينا في ثامن منهم الكتب
كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة غداة ثووا فيها و ثامنهم كلب
ضاع أمر الناس إذا ساس ملكهم وصيف وأشناس وقد عظم الكرب[1]

في هذا الهجاء تجنب وابتعاد عن الإفحاش والسباب، يحاول الشاعر السمو بهذه "المعاني ليحولها إلى عمل داخلي، فقصة أهل الكهف لا تدل على المدح أو الهجاء، إلا أن الشاعر تولاها بعصبه وعللها تعليلا هجائيا مبتكرا[2] المباشرة بين الشاعر ، رغم المواجهة والمهجو ذي السلطة والنفوذ، إلا أنهم عمدوا في بعض الأحيان إلى الاستتار بأساليب فنية، وصور إيحائية تهدف إلى المبالغة في السخرية منهم، بتكثيف التشبيهات التي تغرق في تشويه صورتهم، فهم قرود تولوا سدة الحكم حتى لم يبق للأحرار والجود مكان، كما ينشد بن لنكك البصري :

مضى الاحرار وانقرضوا وبادوا وخلفنى الزمان على علوج

وقالوا قد لزمت البيت جدا فقلت لفقد فائدة الخروج

فمن ألقى اذا أبصرت فيهم قرودا راكبين على السروج

زمان عز فيه الجود حتى تعالى الجود فى أعلى البروج [3]

في هذه الأبيات تحليل لحاله بملازمة البيت، فذلك خير له من رؤية الحكام الذين يشبههم بالقرود لقبح منظره، كذلك وهمّ في مواكبهم، ليصف بخلهم بذمّ من الذي ندر فيه الجود الز والكرم .

لم يتورع هؤلاء الهجاؤون في ذكر الأوصاف المقرفة والتفصيل فيها كهجاء عبل في ابي نصير بن حميد الطوسي :

أَبا نُصَيرٍ تَحَلحَل عَن مَجالِسِنا فَإِنَّ فيكَ لِمَن جاراكَ مُنتَقَصا

أَنتَ الحِمارُ حَروناً إِن رَفَقتَ بِهِ وَإِن قَصَدتَ إِلى مَعروفِهِ قَمَصا

[1] الاغاني ، ابو الفرج الاصفهاني ، ص 93
[2] فن الهجاء وتطوره عند العرب ، ايليا الحاوي ، ص 484 .
[3] المصدر السابق ، الثعالبي ، ص 409 .

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.45.2023.564

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (45) أبريل 2023
Volume (45) April 2023
IJOHSS

إِنّي هَزَزتُكَ لا آلوكَ مُجتَهِداً لَو كُنتَ سَيفاً وَلَكِنّي هَزَزتُ عَصا [1]

في خطاب مباشر دون إيحاء أو توريـة، يخاطب مهجوه بتشبيهه بالحمار الحرون، الذي لن ينفع معه الرفق واللين، لأنه مدحه فلم يعط ى، فانقلب عليه ه هجوه، دون مراعاة لأي حدود أو ضوابط، فالغاية عنده هي النيل من مكانته، بالسخرية منه حين يوظف الحيوانات التي ترمز للقبح والغباء، كالحمار والقرد فيما سبق، وهذا الهجاء يمتع ويطرف إلى الحد الذي يجعل المهجو يطرب حين يسمع شعر النفس الشاعر يهجو به فريسة أخرى [2] .

نبذت عامة الشعب العديد من التصرفات الصادرة عن الحكام والتي كانت نتيجة حتمية لصعف الحكم واحتلال النظام السياسي، وعبروا عن امتعاضهم منها، فمثل ذلك في هجاء سياسي لم يتعرض لأشخاص بعينهم بل للفتن والاضطرابات المحيطة بهم :

أضاع الخلافة غش الوزير وفسق الإمام ورأي المشير
فعال الخليفة أعجوبة وأعجب منه فعال الوزير
ومن ليس يُحسن مسح أنفه ولم يخل من متنه حجر ظير
وما ذاك ، إلاّ بباغ وغاو يريدان نقض الكتاب المنير
ولكنها فتن كالجبال نرتع فيها بصنع الحقير [3]

إذ لم تصبح للخليفة أي سلطة، ويتحول إلى دمية تحركها الأهواءالأجنبية التي فرضت سطوتها على الخلافة العباسية حيث لم يبق للأخيرة غير الاسم والهيكل، وعلى العموم عرف أفراد الطبقة الحاكمة من أكبرهم مركزا إلى أدناهم بالجور والفساد والاستبداد ومنهم القضاة فكانوا وسيلة قدح من خلالها الشعراء في السلطة العليا، انطلقوا منهم ليصلوا إلى سبب مأساة الأمة الخلافة العباسية .

قاض يرى الحد في الزنا ولا يرى من يلوط من ناس [4]

عبر الشعراء عن انفعالهم وتأثرهم بتلك الوقائع السياسية والتغييرات الدائمة، على مستوى الخلافة، فيقابل بين الوضع السابق واللاحق، بتعاقب الخلفاء النمطي الخاضع للوراثة دون أن يكترث دعبل :

الحمد الله لا صبر ولا جلد ولا عزاء إذا أهل البلاد رقدو[5]

إنه يعبر في البيت الثاني على حال الشعب واعتياده على هذه .الأمور ارتبط الهجاء السياسي بناحيتين أولاهما: أنه كان هجاء ذاتيا متعلقا بعاطفة فردية، ينبع من حقد الشاعر وغضبه على الحاكم أو ذي السلطان الذي منع عنه النوال، فيشحذ همته ويهجوه بألفاظ مشوبة بالإفحاش والسباب، دون خوف أو وازع يردعه في ذلك، فيقتص لنفسه بشعره وبغية سحق السلطة بالكلمة مقابل جورها وظلمها. من ناحية أخرى عبر الهجاء على لسان الجماعة عن تلك المهازل السياسية المتدرجة من الخليفة إلى بقية الولاة وأعيان الدولة، فبين ليلة وأخرى يعين خليفة ويرفع آخر. ويتنوع الخلفاء بين صغير وكبير وكل هذا كان مدعاة له

[1] الشعر والشعراء في العصر العباسي ، مصطفى الشكعة ، ص334 .
[2] نفسه ، ص 331 .
[3] المصدر السابق ، عبد الفتاح نافع ، ص 44.
[4] نفسه ، ص ، 53 .
[5] المصدر السابق ، عبد الفتاح نافع ، ص 53.

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.45.2023.564

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (45) أبريل 2023
Volume (45) April 2023
IJOHSS

سخط الشعب واستيائه مما يعانيه حفلم يت، نتيجة لفساد السلطة رجوا من تعداد الكبائر الفواحش والكبائر التي مارسها أصحاب الطبقة الحاكمة .

محتجبا عن الناس ولو كان على ملك كسرى ، كما شبهه بالنبع وهو شجر قاس يصنع من أغصانه القسي ، لعصاك صفتان الحسن واللين ، ولعل لك فيه مأرب أخرى غير الضرب
قال في هجاء الذفافي :

يا مَنْ رَأَى الدَّامِرَ يَخْتالُ في شَاشِيَةٍ شَوَهاءَ مُغْبَرَّةٍ
مرَّ فقامَ الناسُ من لاعن وقائل : شَوَّهت ياعرة
وقد تجلى كاسراً طرفة كأنه ديك به نقره

المبحث الثاني
البناء

مفهوم البناء :
جاء على لسان ابن منظور : " البني : نقيض الهدم، بنى البناء البناء بنياً وبناءً . ابن الأعرابي : البنى الأبنية من المدر أو الصوف ، و كذلك البني من الكرم ؛
وأنشد بيت الحطيئة : أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنى .. والبنيان : الحائط .. وأبنيت الرجل : أعطيته بناء أو ما يبتني به داره ... والبنية، على فعلية : الكعبة لشرفها إذ هي أشرف مبني. يقال : لا و رب هذه البنية ما كان كذا وكذا .. و بنى الطعام لحمة يبنيه بناءً : أَنبَتَهُ وعَظُمَ من الأكل ؛ .. و البواني : قوائم الناقة. وألقى بوانية : أقام بالمكان و اطمان و ثبت تستطيع أن نجمع معاني مادة " بني " على تعدّدها في حقل دلالي واحد تتأرجح فيه المفاهيم بين التنمية و التعمير ، و قد اتسم كل منهما بسمة الإيجاب تحقيقاً لضرورة الانسجام بين الذال و المدلول ، و نحن لو تركنا الدلالة المعجمية للمفردة وانتقلنا بها إلى دلالتها الصوتية لما تغير في الأمر شيء ، إذ يبدأ جذر الكلمة بصوت الباء ، و هو صوت مجهور انفجاري يمكنه أن يؤسس بما يملك من قوة لبناء متين ، ثم ليليه صوت النون المجهور المتوسط بين الشدة والرخاوة حاملاً أعباء النهوض بالبناء بما يمتلك من مرونة ، حتى إذا بلغنا صوت الألف على حقيقته إذ هو المقلوب عن ياء ، أو بما هو عليه وجدنا أنه ينفرج عن إطلاق و تحرر يرقيان بالمفردة إلى حيث دلالتها المعجمية ، مانحاً دلالة المفردة صفتي السمو و الارتفاع ، و هما صفتان تنتميان الى الحقل الدلالي.
والبناء ماهيته كالهدم، يتلخص عبر أساليب ومتمظهرات ترفع من قيمة المتلقي والمقول إليه، وتارة يأتي عبر البناء المبني عبر الصيغة اللغوية وبنيتها، ومثل ذلك

يقول أبو تمام في مدح دينار بن عبد الله[1] :

الَيكَ سَرى بِالمَدح قَومٌ كَأَنَّهُم عَلى المَيسِ حَيّاتُ اللِصابِ النَضانِضُ
مُعيدينَ وِردَ الحَوضِ قَد هَدَّمَ البِلى نَصائِبَهُ وَانمَحَّ مِنهُ المَراكِضُ
نَشيمُ بُروقاً مِن نَداكَ كَأَنَّها وَقَد لاحَ أُولاها عُروقٌ نَوابِضُ
فَما زِلنَ يَستَشرينَ حَتّى كَأَنَّما عَلى أُفقِ الدُنيا سُيوفٌ رَوامِضُ
فَلَم تَنصَرِم إِلّا وَفي كُلِّ وَهدَةٍ وَنَشزٍ لَها وادٍ مِنَ العُرفِ فائِضُ
أَخا الحَربِ كَم أَلقَحتَها وَهيَ حائِلٌ وَأَخرَتَها عَن وَقتِها وَهيَ ماخِضُ

يصرح أبو تمام بغرض نصه في البيت الأول ، فيتخلص من خلال هذا التصريح تخلصاً حسناً يفضي به بعد مطلع القصيدة إلى الهدف المرتجى ، ألا و هو المديح مستغنياً بذلك عن وصف مشاق الارتحال التي كان يعانيها

[1] شرح ديوان ابو تمام ، التبريزي ، ص 298

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.45.2023.564

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (45) أبريل 2023
Volume (45) April 2023
IJOHSS

الشاعر قديماً و يكابدها. إذ نجد أبا تمام يقدم لنصه بحرف الجر " إلى " فيختصر به تراجيدية الموقف ، و ينحو بنصه منحى الإنجاز مائماً بين النص و روح العصر ، فسرعته للقاء الممدوح تعدل سرعته في تناول الغرض ، و هذه السرعة أو تلك تتساوق مع سرعة المادحين ، يعذون السير في طريقهم إلى الممدوح ، وهي سرعة تشبه سرعة الحيات النضائض لتكون السرعة قاطعاً مشتركاً بين كل من المادحين والحيات، وبذلك يكون الشاعر قد خرج عن المألوف باستخدامه مثل هذا المشبه به ، لكنه في مقابل ذلك يختص من هذا المشبه به وجه الشبه " السرعة " فيعدل عن خروجه ، بل و يوفق في تشبيهه . فالحية يقترن اسمها بالغدر والموت ، وربما بالسم فلكنى عن السلم بها ، غالباً ما تُستخدم في شعر الشعراء لغرض الهجاء لا لغرض المديح.

أبي تمام هذه المفردة من حفلها و الإفادة منها في حقل أو حقول أخرى منحها بعداً جديداً ، و فجر فيها طاقات كامنة[1] . يتحقق الاتصال بين المادح والممدوح باستخدام حرف الجر " إلى " ، و كي يزيد أبو تمام رسوخ هذا الاتصال في ذهن المتلقي قدّم هذا الحرف ، و ألحق به حرفي الجر " الباء ، على " و كلاهما يقضيان إلى حالة من الالتقاء ، فالمادحون مزودون بقصائد المدح و هم ما يزالون في ليفة للقاء الممدوح ، و لذلك أشبيت حركتهم من حيث السرعة حركة الحيات على الشجر ، وعندما يستخدم أبو تمام أداة التشبيه " كان " ، فإنه لا يريد بها التأكيد على المشابهة الحاصلة بين الطرفين وحسب، بل يريد ، أيضاً ، التأكيد على شدة التصاق كلٍّ من الطرفين بوسيلة عيشه ، إذ لا يمكن للمادح أن يعيش دون قصيدة المدح ، و كذلك الأمر في التحام الحيات بالشجر بوصف الشجر ملجأ تأوي إليه، و تحتمي به من حر الشمس و خطر الأعداء، و تتخفى بفضله عن فرانسيا فيسيل عليها اصطيادها و هذا اتصال آخر محقق من التحام الحيات اللصيق بالشجر من خلال استخدامه حرف الجر " على " .

حيث الشاعر لم يكتف بوصفه لحال الاتصال ها هنا ، بل تراه يستخدم مفردة " قوم • بصبغة التفكير ، حتى يشير إلى اتصال آخر صادر عن الممدوح ذاته تجاه مادحيه على تنوع مشاربهم ، لذلك هو لم يعرف المفردة ، فكرم ممدوحه ليس قصراً على أبناء إمارته ، إنما مثله مثل المطر يصيب الأرض فيمنح سيولها وجبالها الحياة . من هنا ، كان عدم اكتفاء أبي تمام باستحضار الحوض دليلاً على كرم الممدوح * معدين ورد الحوض " ، فقد تجاوز الممكن و تخطى عقبة العادي المألوف ، لتتحول عطايا ممدوحه إلى بروق فاعلة غير منفعلة يتحول المطر إلى سيل جارف تدميري يخلق بتدميره الحياة ، فعله فعل السيوف تأتي على الهامات و تسفك الدماء ، فتصنع بهذا الفعل ذالك النصر، والنصر بدوره يولد القوة و يؤمن الحياة الكريمة[2]. تمكن أبو تمام من الاتصال بمجموع الشعراء ممن توجه إلى مدح * دينار " ، والاتصال ، أيضاً ، بالممدوح ، و كسب ثقة الطرفين ، و لم يبق عليه سوى الاتصال بالمتلقي مستمعاً كان أو قارئاً ، ، فما سبيله إلى ذلك ؟

أبو تمام يستعين في نصه بالأسلوب الخيري ، و ما على المتلقي إلا أن يصدق ما يقوله أو يكذبه و بموجب ذلك كان على أبي تمام أن يؤكد خبره ، ليزيل من ذهن المتلقي الريب ، فنراه على سبيل المثال لا الحصر يتكئ على أداة للتوكيد ك " كان ، قد " ، ثم إنه لا يكتفي بذلك ، إذ غالباً ما كان يستخدم أسلوب التقديم والتأخير ، للدلالة على أهمية المقدم و لو اضطره الأمر إلى تقديم شبه الجملة على المبتدأ أو الفاعل أو الصفة من قبيل استخدام أسلوب القصر و الأمثلة وافرة جداً .

يفاجئنا أبو تمام في البيت الأول بتقديمه لشبه الجملة . إليك " على الجملة الفعلية بأكملها ، أي ليس فقط ، على الفاعل ، كما يقدم شبه جملة أخرى على الفاعل في الجملة ذاتيا بالمدح " إشارة إلى أهمية شبه الجملة الأولى ، حيث تحدد نوع العالقة " الاتصال " ، و إلى أهمية شبه الجملة الثانية ، حيث تبين السبيل إلى تحقيق هذه العلاقة. او الأمر ذاته نجده في قوله : " انمح منه المراكض " و كذلك في قوله : " على أفق الدنيا سيوف " أو " لما وادٍ من الغرف " ، و بهذا ينتقل أبو تمام بشبه الجملة من كونها فضلة في الكلام إلى اعتمادها أساساً لبنى عليه .

و حتى يخرج أبو تمام خبره في أبهى صورة كان ، غالباً ، ما يستخدم التوصيف فيسند إلى كل موصوف صفته المطلوبة ، متجاوزاً بهذه الصفة أو تلك باقي صفات الموصوف لدلالتها المباشرة على ما يرمي إليه ، فتعمل كل صفة عملها ، بحيث لا يمكن استبدالها بأخرى تحل محلها أو تنوب عنها ، فانظر إلى قوله : " حيات اللصاب النضائض ، عروق نوابض ، سيوف روامض ، واد فائض . و إذا بالمتلقي أمام كل هذه الأساليب يصدق خبر الشاعر . فيتواصل معه و يتصل به ، و هذه غاية أبي تمام، فقد استطاع أن يشيد بناء عالياً دعامته الأولى

[1] شعر أبي تمام بين النقد القديم و رؤية النقد الجديد - ص ١٣٩ .

[2] المرجع نفسه ، ص ١٤٣

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.45.2023.564

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (45) أبريل 2023
Volume (45) April 2023
IJOHSS

والأخيرة " الثقة " بينه و بين ممدوحه ، و بينه و بين جمهوره . و بموجب ذلك لا يكون البناء اللغوي أو الفني غاية أبي تمام المنشودة و حسب ، إنما أيضاً ، البناء الاجتماعي .
وتارة يأتي عبر الصيغة النفسية المبنية وفق بنى وأطر لها دوافع سايكولوجية ، كالمتنبي، نحو قوله من قصيدة يمدح فيها المعتصم : [الكامل]

فالأَرضُ دَارٌ أَقْفَرَت مَا لَم يَكُن من هاشِيم رَبٌّ لتلك الدار
سُورُ القُرآنِ الغُرَّ فيكم أُنزِلَت وَلَكُم تُصَاغُ محاسنُ الأَشْعَارِ[1]

يقول في الأشعار المذكورة إن الأرض كلها كدار خلت من الناس والماء والأشياء الأخرى ما لم يكن فيها سيد من قوم بني هاشم يحكمها، حيث إن آيات القرآن الكريم وسوره الشريفة قد نزلت في تلك القبيلة فلهذا تصاغ لكم أفضل الكلمات وأتم المعاني على هيئة مخصوصة في أشعار جميلة حسنة، و مراد الشاعر بالأشعار الحسنة الجميلة محاسن الأشعارهي الأشعار التي أنشدها بنفسه. فيكون بذلك قد مدح كلامه، حيث يقول إن تلك الأشعار هي من أحسن الأشعار التي جعلتها خاصة لكم و هذا قول بديع ومبتكر في المدح.
وقد استفاد الشاعر من الاستعارة المكنية في قوله ولكم تصاغ محاسن الأشعار حيث شبه (محاسن الأشعار) بحلية ونفسة بصائغ لتلك الحلية لرسم صورة جميلة بحذف المشبه. وفي (تصاغ) استعارة تبعية. و محاسن الأشعار تركيب إضافي من باب إضافة الصفة إلى موصوفها.

وقد تأثربه المتنبي في مدائحه، حيث يقول، مثلاً، في مدح سيف الدولة: [الطويل]

لك الحمدُ في الدر الذي لي لفظهُ فَإِنَّكَ معطيه وإِنِّي ناظم [2]

يريد المتنبي بالدر شعره و يقول المعاني لك بأفعالك الكريمة و أنظمها بنفسي فاللفظ لي و لهذا أحمدك على هذا فالمتنبي مدح كلامه بارزا كما في البيت و أهداه إلى ممدوحه سيف الدولة ومدحه أيضا و في مثل هذا يقول ابن الرومي أيضا: [الوافر]

ولا تبنوا مقال الإفك فيه فليسَ لَمَا بَنَّي اللَّهُ انْهِدَامُ
منحك مين حلي الشعر عقدا غَدًا لَكَ دَرُّه وَلِي النِّظَامُ[3]

يقول الشاعر في مدح الممدوح ولا تسعوا للافتراء على شخصيته لأنه من أبنية الله و لهذا لا يكون لها انقضاض فأنت لا تستطيع أن تهدمها. ويقول في البيت الثاني: أنا أعطيتك الشعر الجميل كالزينة وكالحلي التي تزين جيدك وتُحلِّي رقبتك على شكل قلادة معجبة، حيث صار لك لؤلؤه الجميل ولي منه الخيط الذي ينتظمه فابن الرومي، حين مدح ممدوحه اعتبر شعره من أحسن الأشعار و وصفه بالحلي التي يزين بها الممدوح نفسه وهذه الأشعار المدحية كلها من قبله وهو قوامها وبيده نظمها، ولولاه لما اتظمت ولانفرط عقدها وتناثرت حبتها. وقد رأينا كيف أن الشاعر بعد مدح كلامه وافتخاره به كيف أهداه إلى ممدوحه، فهذا دليل آخر على تأثر ابن الرومي بمدائح أبي تمام لأن هذا الفن من إبداعاته الطريفة في العصر العباسي.

الملاءمة بين القول والمقول إليه :
وتتم هذه الصيغة عبو موائمة ينتهجها الشاعر لإثبات صيغه وصوره المدحية الملقاة للمستمع. الموجه إليه القولز،بعيدا عن مرتبته او موقعه الإجتماعي، فقد ليركن ويعضد إنتماءه البناء، مثل ذلك

[1] ديوان ابو تمام ، ص 342 .
[2] ديوان المتنبي ، ص 1028 .
[3] ديوان ابن الرومي، ص 284

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.45.2023.564

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (45) أبريل 2023
Volume (45) April 2023
IJOHSS

يقول أبو تمام من قصيدة مدح فيها ابن الزيات، الكاتب المشهور ووزير الدولة العباسية :

لك القلمُ الأعلى الذي بشَبَاتِهِ تُصاب من الأمرِ الكُلى والمفاصل [1]

فقد الكلى والمفاصل كناية عن المقاتل والمعنى: إن لك من البلاغة ما تجهز به على مشكلات الأمور. فهو يقول في البيت بأن قلمه لشدته وحدته يقطع الأمور المعقدة ويفصلها كما أن السيوف الماضية تقطع الكلى و المفاصل دون بطء ، يعني أن قلمه قوي لأنه يستطيع أن يكتب على أفضل وجه ويصدر أوامر مهمة و يرسلها إلى سائر كبار الدولة في أرجاء القطر وعليهم أن يطيعوا فرامينه المكتوبة المفروضة و الشاعر بلالم بين القلم وشخصية الممدوح لأن ابن الزيات كان كاتبا مشهورا في ديوان الحكم إضافة إلى وزارته فبهذه المناسبة استعمل الشاعر كلمات تناسب الكتابة والوزارة وجعل «الكلى» و «المفاصل مثلا لحقائق الأشياء وأصل ذلك أن الضارب إذا إصاب المفصل بلغ ما يريد من المضروب وأن الرامي إذا أصاب كلية القنص فقد أثبته ولولا سر هذه الأقلام لما انتظم أمر الملك فإذا مدح كاتبا مشهوراً مثل ابن الزيات نوه بأدبه وبلاغته وقدرته على خلق الألفاظ المعاني الجيدة.

المبالغة في الوصف :

لقد حول الشعراء هذا المفهوم ليدلو بدلوه القيمي
،لإنشاء قاعدة في المدح إلى ملاحم كبرى جسم بطولات الممدوحين وتكلم عن أيامهم وشخصها بشكل خطابي، نحو التباهي، كقول أبي تمام :

فتح الفتوح تعالى أن يُحيط به نظم من الشعر أو نثر مِنَ الخُطب
فتح تفتح أبواب السَّمَاءِ له و تبرز الأرض في أثوابها القشب
يا يوم وقعة عمورية انصرفت منك المنى حفاد معسولة الحلب [2]

ففي فتح الفتوح الذي لم ير فتح مثله تبرز الأرض مثل لتعظيم الفتح و مسرة أهل الإسلام و تفتح أبواب السماء أي بالغيث و الرحمة ويقول في الأبيات المذكورة بأن الأشخاص لا يستطيعون أن يصفوه كما هو لأن هذا الفتح، فتح له كل ما يشاء وهذا الوصف شبيه بملحمة قصيرة و في يا يوم..... إتسع في النداء حتى كأنه خاطب يوم وقعة عمورية الجلاله عنده و حفل هاهنا مستعار للمني و الحلب كذلك و لهذا نحن امام يوم كبير الذي شخصه الشاعر بشكل معجب و يقول إن ما كنا نتمني و نريد حصوله في هذا اليوم من الانتصارقد حصل .

وليثبت المتنبى للممدوح أنه كلف نفسه كثيراً ليصل إليه ، فكان لابد أن يجعل الطريق شائكاً كثير المخاطر ، وقد أبدع في ذلك عندما صور هذا بقوله:

لقيتُ المَرْورى والشناخيب دونه وجيت هجيراً يترك الماء صاديا[3]

فهو قد قطع قلوات واسعة مترامية الأطراف ذات حجارة عالية صعبة العبور وشمساً حارقة تجفف كُل أثر للماء. والمتنبي ههنا قد أدخل اليقين في نفس كافور بأنه يرجوه وحده ولا يرجو أحداً سواه ولعل هذا البيت جاء رداً على الادعاء الذي ادعاه اليهودي ابن ملك عندما قال إن المتنبي قال: إنه إذا جاء مصر فإنما يقصد ابن سيده وليس هذا العبد الأسود. ثم يوجه إليه المدح بقوله:

[1] ديوان ابو تمام ، ص 57
[2] ديوان ابو تمام ، ص 35
[3] المروري: جمع مروراة وحى الفلاة واسعة

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.45.2023.564

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (45) أبريل 2023
Volume (45) April 2023
IJOHSS

أَبَا كُلِّ طِيبٍ لَا أَبَا الْمِسْكِ وَحْدَه وَكُلِّ سَحَابٍ لا أخص الغوانيا
يدل بمعنًى واحد كُل فَاخِر وقَدْ جَمَعَ الرَّحْمَنُ فِيكَ المَعَانِيا[1]

فهو كل طيب وكل سحاب لا طيب ولا سحاب بعينه ، فعامة الناس تفتخر بالمعنى الواحد وانت قد جمع الله فيك كل المعاني ، والناس تكسب المعالي بالندى والكرم ولكنك تعطى في كرمك ونداك كل شئ. بل حتى المعالى نفسها. ولعل المتنبي في هذا البيت كان يمهد لطلب يطلبه من كافور وهو الذي صرح به في البيت التالي:- وغِيرٌ كَثِيرٍ أَنْ يُرُورَكَ رَاحِل فَيُرْجَعُ ملكا للعراقين وَالِيا [2] وهذه المعاني التي مدحه بها ليست مبالغ فيها كما اعتاد الشعراء على المبالغة أمام ممدوحيهم ، ولعل المتنبي قد أراد هذه المبالغة ، ولكن هذه الصفات والمعاني كلها تبدو حقيقة ماثلة في شخص كافور الإخشيدى فهو الرجل الكريم ذو الخصال العديدة وهو الذي يعطي عطاء غير محدود.

ثم يذكر المتنبي أنَّ هذا الملك الذي تقلده كافور لم يكن بالتمني أو الاتفاق وإنما نالـه بعد حروب تشيب النواصي، ولعله هنا يشير إلى حروب كافور لتوطيد أركان دولته.

وما كنت ممن أدْرَكَ المُلك بالمنى ولكن بأيامٍ اشينَ النُّواصيبا [3]

ثم يصف الجيوش التي اعتمد عليها كافور في هذه المعارك وكيف أنها دكت حصون الملوك بسنابكها.

عزوت بها دور الملوك فباشرت سنابكها هاماتهم و المعانيا[4]

ثم ختم القصيدة بقول رائع يحكى عن براعة الشاعر وتمكنه من التصوير الجميل يقول:
فَأَصبح فوق العالمين يرونه وَإِنْ كَانَ يُدْنِيهِ الذُّكْرُمُ نَاثِيَا

فهو بهذه الصفات والمعاني فوق أقدار الناس جميعاً ولكن تواضعه وتكرمه هو الذي يجعله دونهم ، وهذه هي صفة الحاكم العادل حيث يظهر هيبة الدولة لأعدائه بينما يلين جانبه لرعيته. هذه القصيدة المادحة واحدة من أجمل ما قال المتنبى في مدح كافور ولكن بعض شراح ديوانه من معاصريه والذين جاءوا بعده وكثير من الباحثين حاولوا أن يخرجوا هذه القصيدة عن وجهتها من المديح إلى الهجاء. ففي قوله: (فجاءت به إنسان عين زمانه قال ابن سيدة : لو قال هذا البيت في رجل ابيض لكان مدحاً لا يجارى وتقريظاً لا يبارى ، وإنما نقص عن غاية المدح.

وابن سيدة أحد شراح ديوان المتنبى ولكنه في شرحه لهذا البيت جانب الموضوعية، وذلك لكونه جعل لون الممدوح هو السبب في أن يكون الشعر فيه غاية في المدح أو عكس ذلك. وفي شرح قوله:

يدلُّ بمعنى واحدٍ كُلِّ فاخر وقَدْ جَمَّعَ الرَّحْمَنُ فِيكَ المَعَانِيا

قال أبو الفتح [5] لما وصلت إلى هذا البيت ضحكت وضحك وعرف عرضي[6]. ومعنى البيت: أن كل فاخر من الناس يفخر بمعنى واحد ، وانت قد جمع الله فيك كل المناقب والمفاخر[1].

[1] ديوانه ص ٤٤٤
[2] ديوانه ص ٤٤٤
[3] ديوانه ص ٤٤٤
[4] ديوانه ص 445
[5] أبو الفتح عثمان بن جنى أحد معاصري المتنبي
[6] البيان، ٤/٢٩٠

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.45.2023.564

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (45) أبريل 2023
Volume (45) April 2023
IJOHSS

فما الذي يضحك أبو الفتح في البيت اللهم إنها السخرية والحكم المسبق على الرجل كافور على الرغم من أن التاريخ قد أثبت أنه كان حكيماً شجاعاً سياسياً كريماً.

ولعل مثل هذه العبارات والتعليقات هي التي ساقت الباحثين إلى الخوض في الخضم الذي خاضه هؤلاء. ونحن لانريد أن ندافع عن هذا الرجل- كافور فنحن في زمان لا ينفعه دفاعنا ، ولكن لانريد أن نحمل الشعر أكثر مما يحتمل ففي البلاغة جنس يعرف بتأكيد المدح بما يشبه الذم وعكسه ولكنه لا يدخل في هذا البيت. فقد اتبع المتنبي في مديحه لكافور سيلاً شتى، فقد مدحه مدحاً مباشراً مثل قصيدته سالفة الذكر، وأحياناً يتفنن في هذا المديح ويأتى به في صور غير متوقعة، مثل أن يجعله فوق أقدار الناس جميعا وفوق ما يصنعون ويملكون، بل وكأن ما يملكونه و يصنعونه ناتج عن هيئة هذا الملك وقوته.
بنى كافور داراً وتحول إليها وهنأه الناس بها وطالب أبا الطيب بذكرها فقال :

إِنَّمَا النَّهْبَنَاتُ للأكفاء ولمن يدى من البُعْداء
وَأَنَا مِنكَ لَايُهَنِّى عَصَو بِالمَرَاتِ سَائِرَ الْأَعْضاء

فهو يقول:
إنما التهنئة بين الأكفاء ، وأنا لست يكف لك وتكون لمن يكون بعيداً من الملوك ثم يدنو منهم وأنا لست بواحد من هذين، بل أنا عضو من أعضائك والعضو لا يهنئ سائر الأعضاء.

ثم يقول: وهو في هذا البيت إنما يشبهه بالملوك العظام.

أنتَ أَعلَى مَحَلَّةً أَن تُهنا بمكان فِي الْأَرْضِ أو في السَّمَاءِ
ولكَ النَّاسُ والبلاد وما يسرح بين الغُبْرَاء والخضراء
ويُسَائِينَكَ الحَيادُ وما تَحْمِلُ مِنْ سَمْهَرِيةٍ سمراء[2]

ففي هذه الأبيات يصور المتنبي كافوراً بالعظيم الذي هو أعلى وأسمى من أن يهنأ بمنزلة في الأرض أو في السماء وذلك لأن كل ما بين السماء والأرض من ناس وحيوان فهو لك، وقد تطاول الشاعر في هذه الأبيات كثيراً على الله عز وجل ، فالله وحده هو الذي له ما بين السماوات والأرض وقد ورد هذا المعني في قوله تعالى: **" لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُما وَمَا تَحْتَ الثَّرَى[3]**. ثم ينتقل المتنبي إلي الشيء الذي يجب أن يفخر به كافور فهو ليس الدور التي تنشأ ولا كل شئ مملوك بين الناس ولكن الذي يجب أن يفخر به كافور هو والمكارم والأخلاق الفاضلة والقضاء المبرم على الأعداء ، يقول في ذلك:

إنما يُفخَرُ الكَرِيمُ أَبُو المسك بِما يُبْتنى من العلياء وبأيامه
التي المُلْحَتَ عَنْهُ وما داره سوى الهيجاء
وبما أثرَتْ صَوَارِمَة البيض لة في جماجم الأعداء
ويمسك يكنى به ليس بألم سلك ولكنه أريج الثناء
لا بِمَا تُبْتَنِي الحَوَاضِيرُ فِي الرِي وَمَا يُطْبَي قُلُوبُ النِّسَاءِ

[1] المصدر السابق نفسه
[2] ديوانه ، ص ٤٤٦
[3] سورة طه الآية (1)

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.45.2023.564

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (45) أبريل 2023
Volume (45) April 2023
IJOHSS

فعلى كافور أن يفخر بأيام الانتصار على الأعداء في الحروب والصوارم البيض التي يحز بها رؤوس الأعداء وبالمسك الذي هو الثناء وحسن الذكر ليس المسك الذي يتطيب به. فعلى الممدوح أن يفخر بكل هذه الأشياء وليس بالأبنية الجميلة في الريف والحضر وليس بالأشياء المنظر المحسوسة التي تتهيج بها النساء. ثم يسترسل في مديحه بذكر بعض الصور الجميلة فهو يشبهه بالشمس المنيرة ويذكر صفاته من الكرم والشجاعة والرخاء يقول:

تقضحُ الشَّمْسُ كُلما رَرَبَ الشَّمْ م بشمس منيرة سوداء
إن في ثوبك الذي المجدُ فيه لضياء يزري بكل ضياء
إنَّمَا الجِلْدُ مَلْبَسٌ وَابْيَضَاضَ النَّفْ من خَيْرٌ مِنَ ابْيُضَاض
القباء كُرَمَ فِي شَجَاعة وذكاء في بماءٍ وَقُدْرَةٍ فِي وَفَاء

يرى العكبرى في البيت الأول : أنه في سواده مشرق فهو بإشراقه في سواده يفضـــح الشمس [1] .
كانت العرب وإلى وقت قريب ترى أن سواد اللون عيب ومنقصة لذلك كثيراً ما يذمون به في شعرهم ويهجون ، حتى إن الشاعر يكون في حرج من أمره إذا كان أسوداً فهو يحاول أن يجد تفسيراً لهذا السواد، وهذا ما فعله المتنبي عندما ممدوحه شبه كافوراً بالشمس المنيرة السوداء حاول أن يجد تخريجاً لهذه الصورة فقال:

إنما الجِلْدُ مُلْبَسَ وَابْيَضَاصَ النَّفْس خَيْرٌ مِنْ ابْيُضَاضِ الْقُبَاء

قال الوحيد : كان المتنبي يعلم أن ذكر السواد على مسامع كافور أمر من الموت، فإذا ذكر لونه بعد ذلك فقد أساء إلى نفسه وعرضها للقتل والحرمان [2] . ولكن الأمر عند كافور يبدو مغايراً لما يقول الوحيد، وذلك لأن كافوراً كان يعرف حقائق الأشياء ويعلم أن اللون ليس عيباً ولا منقصة وإلا لأوقف المتنبي من أن ينشد مثل هذه الأبيات.

إذا كان كافور يتصف بكل هذه الصفات وهو أسود فربما يكون السواد جامعاً لهذه الصفات الكثيرة لذلك فإن الملوك البيض يتمنون لونه الأسود ولكن أين لهم ذلك. يقول:

من لبيض الملوكِ أَنْ تُبَدِّلُ اللون يلون الأستاذ والسَّحْنَاء
فتراها بنو الحُرُوبِ بأعيان تراهُ بِها غَدَاةِ اللقاء

فإذا كان كافور بكل هذه العزة والمنعة والسؤدد وأن الملوك تتمنى لونه حتى ترى يوم الحروب مخيفة ومهيبة. يقول البرقوقي : ذلك أن الأسود مهيب في الحرب ولا يظهر عليه أثر الخوف[3] فإن المتنبي يتمنى رؤيته فيقول:

يَا رَجَاءُ العُيونِ فِي كُلِّ أَرْضٍ لَّمْ يَكُنْ غَيرَ أَنْ أَرَاكَ رَجَائِي[4]

ثم يتحول أبو الطيب في قصيدة أخرى إلى نوع آخر من المديح في قصيدته التي مطلعها:

من الجاذِرُ في زي الأعاريب حمر الجلي والمطايا والجلابيب[5]

وكان المتنبي يلقب كافوراً بالأستاذ كما كان يلقبه أهل . مصر، ، وذلك لما به من سياسية ودراية ومعرفة ، فكان هذا اللقب مكان مدح عند المتنبي كما هو لقب الملك
يقول:

---

[1] التبيان ١/٣٤
[2] الصبح المبنى ص ١١٥ - ١١٦

[3] ديوان المتنبي ، شرح البرقوقي ١/١٥٢ ١٣
[4] ديوانه ص ٤٤٧
[5] ديوانه ص ٤٤٨

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.45.2023.564

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (45) أبريل 2023
Volume (45) April 2023
IJOHSS

تَرَعْرُعَ المَلِكُ الأُسْتَاذُ مُكْتَهِاتُ قَبْلُ اكْتِهَالِ أَدِيباً قَبْلَ تَأْدِيبِ
مُجرِّباً فَهِمَا مِن قَبْلِ تَجْرِيعَ مُهَذَّباً كَرَماً مِنْ قَبْلِ تَهْذِيبٌ
حتى أَصَابَ من الدُّنيا نهايتها وهُمُهُ فِي ابْتِدَاء اتي وتشبيب[1]

يقول بشار:

فَالآن صَوْتُ إلا إمام الهدى وربما لِحُبْ وَطَابْ
صحوت الا أن ذكر الهوى يَدْعُو إلى الشوق فأنسى مَاب

وزمن الشفاعة هو اللحظة الحاضرة والمشفع هو الخليفة والشفيع هو الخليفة نفسه، والمشفوع له المفترض هو الشاعر، فلماذا يستخدم (ربما) ذات الدلالة على الاحتمالية؟ ولماذا تبدو إمكانية أن تطيب العلاقة بين لفظة الشاعر والخليفة غير أكيدة؟ ألم يبادر الشاعر إلى طلب الشفاعة؟ أما الفعل (صحوت) الذي يعبر عن التحول نحو زمن الامتثال لأمر السلطة واعتبار لحظة الانسياق في مضمارها هي لحظة الصحوة، ثم تعزيزها في جمل أخرى تدعم فعل التشفيع السابق. فومضة لا تلبث أن تنطفئ أمام إلحاح الماضي المحبوب بذكرياته وحياته. والشاعر ينحاز نحو الماضي في كل ما تبقى من أبيات هذا المقطع، فما دلالة ذلك؟

إن جملة "شفعت إمام "الهدى" في البيت الثاني، تتداخل مع الموروث الديني في اعتبار الخليفة إماماً يهدي إلى الرشد وقد ورث هذه الوظيفة من خلافته لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولعل الكلمتين "الإمام والهداية"، قد وردتا مقترنتين في أكثر من آية من آي القرآن الكريم، ومنها قوله تعالى: "وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا ولعل لقب إمام المقترن بالهدى آتية من إمامة الناس في الصلاة. أما عند المتشيعين فالإمام يرتبط بأفراد البيت العلوي الذين كانوا يعتقدون أنهم أحق بالخلافة من سواهم، ولدى العباسيين استندت الخلافة إلى نظرية التفويض الإلهي لذلك أحب العباسيون أن يؤكد مادحوهم، وبخاصة الشعراء هذه النظرية ... لأنهم أرادوا تثبيت قيادتهم الدينية بتأكيد إسناد الإمامة لهم دون خصومهم آل البيت ويستخدم بشار بن برد في شعره إمام الهدى) في اللوحة الخاصة به في المقدمة ويستخدم لقب أمير المؤمنين في اللوحة الثانية الخاصة بالانصياع لأسر السلطة. في لوحة المديح فيستخدم لفظة (المهدي) الاسم اللقب ويقرنه (بالرسول صلى الله عليه وسلم ويعيد لفظة (المهدي) الممدوح.

ويمكن قراءة ما يلي في تكرار اسم الممدوح أو لقبه حسب لوحات القصيدة، ومنها أن (إمام الهدى) الواردة في اللوحة الأولى تأتي في طرف ثنائية ضدية تمثل جانب الهداية التي تمثلها السلطة الدينية في مواجهة الطرف الآخر، وهو إتباع الهدى الممثلة لذات الشاعر والمنتمية إلى الماضي، ويضاف إلى ذلك أن كلمتي (إمام الهدى ترتبطان بخلفية الشاعر السياسية المناصرة للمتشيعين لآل البيت لذلك فإن استخدامها يشير إلى الانسجام في اللوحة الخاصة به إلى جانب إشعاعاتها الدلالية التي تتساوق معها رغبة الخلفاء العباسيين في مدحهم بصفة (إمام الهدى).
أما فقد أقام العباسيون خلافتهم على أنهم أحق الناس بإرث الرسول ومضوا يحيطون أنفسهم بهالة كبيرة من التقديس..... ونعجب أن نرى الفقهاء والأتقياء الذين كانوا يعارضون بني أمية ويعدونهم دنيويين ظالمين ينصاعون انصياعاً أعمى للعباسيين ويعدونهم رؤساء شرعيين للأمة من الناحيتين الزمنية والروحية وفي خطابه للممدوح (المهدي) في اللوحة الثانية يستخدم لقب (أمير المؤمنين) في فاتحة اللوحة وهذا اللقب يتناغم مع الاقتدار السياسي والقوة والسلطة التي ينصاع لصوتها الشاعر، ويخضع لها ويلغي ذاته وينخرط في ذاتها. أما اللوحة الثالثة فيعود فيها مرة أخرى إلى المواءمة بين الاقتدار والسلطة وإبراز الجانبين الديني الموروث والسياسي الواقع المملوك للممدوح الخليفة العباسي (المهدي).

[1] ديوانه ص ٤٥٠

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.45.2023.564

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (45) أبريل 2023
Volume (45) April 2023
IJOHSS

لذا يكرر الشاعر لفظة المهدي مرتين، ويشفعها بصحبة آل الرسول في مرة من ذلك، منسجما مع لوحة المدح وتقاليدها الفنية العربية الموروثة، وليبرز اقتدار الشاعر على الإيحاء بالصدق الفني والإقناع وإرضاء الممدوح الراغب بأن يرتبط منصبة السياسي بالاقتراب من الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته فقد تمثل بشار أحاسيس العرب وحنينهم إلى الموروث الشعري وليس معنى ذلك أنه انفصل عن عصره، فقد مضى يزاوج بين الماضي والحاضر، يتلقى الماضي ويحياه، وأيضاً يتلقى الحاضر ويحياه، وبذلك وصل بين الحاضر والماضي برقيه العقلي وحياته الحضارية وصلاً خصباً ينحاز بشار في مطلع القصيدة إلى الماضي ففي الجملتين الفعليتين اللتين تشكلان البيت الأول وهما "أفنيت عمري" و "تقضى الشباب" إشارة واضحة إلى أن اللحظات السعيدة قد انصرفت، وأن السعادة في العمر المنصرف كانت نتيجة للتمازج بين اللذة الآتية من شراب الخمرة والمرأة، وما يحدثه هذا التمازج من شعور في التدرج في انقضاء الشباب في جملة "تقضى الشباب". أما جملة "أفنيت" فتأتي في إطار هدم الماضي ليتساوق مع اللحظة الحاضرة.

وبشار بن برد شاعر يصر على انتهاب اللذائذ ويصرح بذلك، وكان بأفعاله يغضب الخلفاء والأمراء فقد ورد أن واصل بن عطاء دعا إلى قتله في بعض خطبه وقال "أما لهذا الأعمى الملحد المشنف المكنى بأبي معاذاً من يقتله وينسرب الفعلان (أفنيت) (وتقضى) في سياق الأشياء الحسنة فالمفتى هو العمر، والذاهب هو الشباب، وكلاهما الحياة وجذوتها المستعرة. أما مادة تلك الحياة فهي التردد داخل الزمن بين مكانين مبهجين هما الحميا بكل ما تحمله الكلمة من إشعاعات دلالية ترتد إلى الخمرة واللذة والنشاط والفتوة، والجواري وما تحمله لفظتنا الجواري (الأواب من دلالات تختصر الحب واللذة والنشاط، وتجعل الشاعر محوراً لذلك المكان وما يحيط به من انتشار للذة وتناغم بين عناصرها.
ويزعم الشاعر أنه ربما انتهى من ذلك متعللاً بشفاعة المهدي، أما الصحوة والافاقة فتبدو الحظية لا تتجاوز زمن السلطة الحاضرة، ولا تتجذر لا بالمكان ولا الزمان. وعلى صعيد اللغة فإن إيقاع الفعل الماضي (صحوت) متبوعاً بأداة الاستثناء والحصر (إلا) تجعل ذكر الهوى هو الحالة المسيطرة على الشاعر فالهوى يدعو للحنين إلى اللحظة المنصرمة، ولذا يصبح الزمن الحاضر والمستقبل مندمجاً باللحظة الماضية التي بدأ الشاعر بتكوينها في نصه الشعري كثنائية ضدية تقابل لحظة السلطة الآن = المهدي والدين + المستقبل المآب)، فالشاعر في مقدمة مديحة للخليفة لا ينثني عن منهجه في الحديث عن حبه للهو، وما صحوته واستجابته إلا حادثة عرضية يتبعها عودة للنهج المعتاد .

الخاتمة

كشفت الدراسة عن بواعث الهدم والبناء على مستوى الشخصية في الشعر العباسي وصورت الأبعاد النفسية، لتلك المؤثرات التكوينية، حيث بنى الهدم على صور منها مايدعو الى الحمق والسخرية للحط من قيمة المقابل والشخصية المقابلة، والثاني على مستوى الكاريكاتير السياسي ورمزية والسخرية للتنقيص من المقابل وتحجيمه ،أما المكون الثاني المكمل له هوه البناء بنيان شخصية المقابل وفق الموائمة بين المعاني المدحية والشخصية فكانت وسيلتها المدح والهجاء الوسيلة المثلى للهدم والبناء عبر الترميزات الإبداعية.

المصادر

1- أساس البلاغة : أبو القاسم جار الله الزمخشري ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، مصر ، 1922.
2- أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم: أبو بكر الصولي ، دارصادر ، بيروت، لبنان، د.ت.
3- – الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني ، شرحه وكتب هوامشه : عبد علي مهنا وسمير جابر ، ط2 ، دار الكتب العلمية ، لبنان، بيروت، 1992 .
4- جمهرة اللغة: محمد بن الحسن بن دريد،(ت321هـ)، تحقيق رمزي بعلبكي، ط ، دار العلم للملاين، بيروت، لبنان، 1987.
5- جوانب من الأدب والنقد في الغرب: د.حسام الخطيب ، ط4 ، مطبعة دار الكتب، دمشق ،سورية، 1990 – 1991.

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.45.2023.564

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (45) أبريل 2023
Volume (45) April 2023
IJOHSS

6- – دراسات فنية في الأدب العربي : د . عبد الكريم اليافي، ط1، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، لبنان ، 1996.
7- طبقات الشعراء : عبد الله بن المعتز، تح: عبد الستار أحمد فراج ، ط2 ، دار المعارف ، مجموعة ذخائر العرب ، 20، القاهرة ، مصر، 1968.
8- علاقات الفن الجمالية بالواقع: ن . غ . تشر نيشفسكي، تر: د. يوسف حلاق، وزارة الثقافة سورية ، دمشق، 1983.
9- في النقد الجمالي – رؤية في الشعر الجاهلي- : د . احمد محمود خليل، ط1 ، دار الفكر، سورية، دمشق ، دار الفكر المعاصر ، لبنان ، بيروت،1996.
10- كولاج:سميح القاسم، دار الحوار، اللاذقية ،سورية، 1984.
11- لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظورالإفريقي المصري، (ت 711 هـ)، دار صادر، بيروت،لبنان، د.ت.
12- مفهوم الجمال في الفن والأدب،د.عدنانالرشيد،كتاب الرياض، العدد101، يصدر عن مؤسسة اليمامة الصحفية ، الرياض ،السعودية،إبريل ، 2002.
13- الموسوعة الفلسفية: لجنة من العلماء ، بيروت ، دار النشر،مغفلة ، د.ت.
14. إبراهيم أنيس - موسيقى الشعر - المكتبة الأنجلو سكسونية-ط-1965.
15. إبراهيم النجار، شعراء عباسيون منسيون، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1997.
16 أحمد إبراهيم الشريف حسن أحمد محمود - العالم الإسلامي في العصر العباسي دار الفكر العربي ط5.
17. أحمد أمين - ضحى الإسلام - ج1-دار الكتاب العربي.
18. أحمد حسن الزيات تاريخ الأدب العربي دار الشرق العربي -ط1-2006. 6. أحمد محمد ويس الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع -ط1-2005.
19. إحسان عباس - فن الشعر - الجامعة الأمريكية دار صادر -ط2-2011.
20 إيليا الحاوي فن الهجاء وتطوره عند العرب دار الثقافة بيروت.

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.45.2023.564